



د. عبد المحسن بن محمد القاسم

إمام وخطيب المسجد النبوي الشريف

قسم المتون العلمية بالمسجد النبوي

لطلب الكميات والتوزيع 0553002305

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ للَّهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على نبيِّنا محمَّد، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.

أمَّا بعد:

أصولُ الدِّينِ معرفةُ اللَّهِ ومعرفةُ دينِهِ ومعرفةُ نبيِّه ﷺ، وبواسطةِ النَّبيِّ ﷺ يَعرِفُ العبدُ ربَّه ودينَه، وسعادةُ الدَّارَيْنِ معلَّقةٌ باتِّبَاعِ هديِ النَّبيِّ ﷺ، قال ابن القيِّم رحمه الله: «يَجِبُ عَلَى كُلِّ مَنْ نَصَحَ نَفْسَهُ وَأَحَبَّ نَجَاتَهَا وَسَعَادَتَهَا؛ أَنْ يَعْرِفَ مِنْ هَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ وَشَأْنِهِ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْجَاهِلِينَ بِهِ، وَيَدْخُلُ بِهِ فِي عِدَادِ أَتْبَاعِهِ وَشِيعَتِهِ وَحِزْبِهِ، وَالنَّاسُ فِي هَذَا بَيْنَ مُسْتَقِلٍّ وَمُسْتَكْثِرٍ وَمَحْرُومٍ».

❖ حَدَثٌ عظيمٌ في الإسلام:

ويومُ الجمعةِ السَّابعَ عشرَ من شهرِ رمضانَ في السَّنةِ الثَّانية من الهجرة يومٌ عظيمٌ في الإسلام، سمَّاهُ اللَّهُ تعالى يومَ الفرقان، وقال عنه عليه الصَّلاة والسَّلام: «اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ العِصَابَةُ ـ أي: الجَمَاعَةُ ـ مِنْ أَهْلِ الإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» رواه مسلم، قال القرطبيُّ رحمه الله: «وَعَلَى ذَلِكَ اليَوْمِ ابْتُنِيَ الإِسْلَامُ».

حَضَرَهُ النَّبيُّ ﷺ بنفسِه ونزلَ ألفُ مَلَكٍ من السَّماء يَقْدُمُهم جبريلُ عليه السلام من أجلِه، مَنْ شَهِدَ ذلك اليومَ من المؤمنِينَ فذنبُه مغفورٌ ومُحَرَّمٌ عليه النَّار، وكان في أَعَالِي الجِنَان، ومَنْ حَضَرَهُ منَ الملائكَةِ فُضِّلَ على غيرِهم من أهلِ السَّماء، فيه عبرٌ وآياتٌ، ودروس ومعجزات.

❖ سبب الغزوة:

حارَبَتْ قريشٌ دينَ اللَّهِ وأخرجُوا نبيَّهُ ﷺ من مكَّةَ وآذَوْا صحَابتَه فهاجَرُوا إلى المدينَة، ولما بلغَ النَّبيَّ ﷺ أنَّ عِيراً مُقْبِلَةً من الشَّام صُحْبَةَ أَبي سفيانَ تَحمِلُ أموالاً جَزِيلةً لقريشٍ؛ نَدَبَ أصحابَه للخروجِ إليها ليتنفَّلُوها وليعلمَ المشركون أنَّ المسلمينَ ليسُوا في ضعفٍ وهوان، وخرج معه ثلاثُ مئة وبضعةَ عشرَ رجلاً لا يريدون غزواً وإنّما العِير، ولما عَلِمَ أبو سفيانَ بخروجِهم؛ اسْتَصْرَخَ قريشاً بالنَّفيرِ إليه، ثمَّ سلك طريقَ السَّاحلِ ونجا، وأخبرَهم بنجاتِه ولكنَّ قريشاً خرجت بساداتِها ولم يتخلَّفْ مِن أشرافِهِم أحدٌ سوى أبي لَهَب، وحَشَدُوا مَنْ حولِهِم من قبائلِ العرب لإبادةِ المسلمين وخَرَجُوا كما قال سبحانه: ﴿بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾.

❖ شجاعة الصَّحابة:

وصحابةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ خيرُ صَحْبٍ لخيرِ نَبيٍّ لَمَّا عَلِمُوا بِمَقْدَمِ قريشٍ لقتالِ النَّبيِّ ﷺ قَامَ المقدَادُ بنُ

الأسود رضي الله عنه وقال: «لَا نَقُولُ كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى: اِذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا، وَلَكِنَّا نُقَاتِلُ عَنْ يَمِينِكَ، وَعَنْ شِمَالِكَ، وَبَيْنَ يَدَيْكَ وَخَلْفَكَ، قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَشْرَقَ وَجْهُهُ وَسَرَّهُ ـ يَعْنِي قَوْلَهُ ـ» رواه البخاري، وقالت الأنصار للنَّبيِّ ﷺ: «لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا ـ أَي: الخَيْلَ ـ الْبِحَارَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا ـ أَيْ: نَرْكُضَ بِهَا ـ إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ ـ أَيْ: مَدِينَةِ الْحَبَشَةِ ـ لَفَعَلْنَا».

❖ النَّبيُّ ﷺ يتضرَّع إلى اللَّه:

ولَمَّا دَنَتْ قريشٌ من بدرٍ ـ وعددُهم بقدرِ المسلمين ثلاثَ مراتٍ ـ: بَاتَ النّبيُّ ﷺ ليلتَها يدعو ربَّه ويسألُه النّصر، وابتهلَ ابتهالاً شديداً، وكان رِدَاؤُه يسقُطُ عن مَنْكِبَيْه وأبو بكرٍ رضي الله عنه يُصْلِحُهُ ويقول: «يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَفَاكَ مُنَاشَدَتَكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ» رواه مسلم.

ولم يَبِتِ النّبيُّ ﷺ ليلتئذٍ؛ بل كان يَجْأَرُ إلى اللَّه، قال عليٌّ رضي الله عنه: «وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا فِينَا إِلَّا نَائِمٌ، إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ شَجَرَةٍ يُصَلِّي، وَيَبْكِي، حَتَّى أَصْبَحَ» رواه أحمد؛ فاستجاب اللَّه دعاء نبيِّه ﷺ.

❖ معجزاتٌ قبل المعركة:

وبشَّرَ النَّبيُّ ﷺ صحَابتَهُ بالنَّصرِ وأخبرَهم بمواضِعِ مَصَارِعِ رؤُوسِ المشركين، ولما أَصبحَ أَقْبَلَتْ

قريشٌ بكتَائِبِهَا، واجتمعَ الجيشانِ في بدرٍ على غيرِ ميعادٍ لحكمةٍ يريدُها اللَّه، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَـٰدِ ۙ وَلَـٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، وألقى اللَّهُ على المؤمنِينَ النُّعاسَ أماناً وطمأنينةً لهم ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ﴾.

وقلَّلَ اللَّهُ أعدادَ المسلمينَ في أَعْيُنِ المشركينَ لئلَّا يَفِرُّوا، وقلَّلَ أعدادَ المشركينَ في أَعْيُنِ المسلمين ليُقْدِمُوا ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾، قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه: «حَتَّى إِنِّي أَقُولُ لِرَجُلٍ إِلَى جَنْبِي: أَتُرَاهُمْ سَبْعِينَ؟ قَالَ: أُرَاهُمْ مِئَةً ـ وهم قرابةَ الأَلْف ـ».

وألقى اللَّهُ الرُّعبَ والخوفَ في قلوبِ المشركين: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾، وثبَّتَ المؤمنينَ بملائكة ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

❖ بدايات النَّصر:

وحَرَّضَ النّبيُّ ﷺ المؤمنينَ على القتال، والتَقَى الجمعانِ وحَمِيَ الوَطِيس، وبَدَأَ النّصرُ بماءٍ طَهَّرَ المؤمنينَ ظاهراً وباطناً وثبَّتَ أقدَامَهُم وربَطَ على قلوبِهم وأَذْهَبَ عنهُم تَخْذِيلَ الشَّيطَان، قال سبحانه: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ

وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَـٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ﴾، وحَضرَ الشَّيطَانُ وقالَ للمشركين: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾، ولمَّا رَأى الملائكةَ فَرَّ وخذَلَ المشركين وقال: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾.

وقَاتَلَ النّبيُّ ﷺ بنفسِهِ قتالاً شديداً، قال علي رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُوِّ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ يَوْمَئِذٍ بَأْساً».

❖ قتال الملائكة:

ونزل جبريلُ عليه السلام يُقَاتِلُ في المعركة، وأخْبَرَ النّبيُّ ﷺ صحَابَتَه بذلك وقال لهم: «هَذَا جِبْرِيلُ آخِذٌ بِرَأْسِ فَرَسِهِ عَلَيْهِ أَدَاةُ الْحَرْبِ» رواه البخاري.

وقَاتَلَ معه ألفٌ من الملائكة، وأخبرَ اللَّهُ المؤمنينَ بقتالِ الملائكةِ معهُم؛ بِشارةً لهم، وتطميناً لقلوبهم، قال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ﴾ قال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: «بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِياً، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ» رواه مسلم. قال سهلٌ رضي الله عنه: «لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ، وَإِنَّ أَحَدَنَا لَيُشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى رَأْسِ الْمُشْرِكِ فَيَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّيْفُ»، قال سبحانه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾.

❖ عددُ قتلى المشركين:

وقُتل في هذه الغزوةِ سبعُونَ مشركاً ـ منهُم ساداتُ قريشٍ الذِينَ صَدُّوا عن دينِ اللَّهِ ـ، وقُتِلَ غيرُهُم مِمَّن لا خيرَ فيه بالكلِّية، وبعدَ مَقْتَلِ ساداتِهم لم يَبْقَ منهم إلَّا الضِّعافُ، فانتَشَرَ الإسلامُ في الآفَاقِ بفضلِ اللَّه.

وقَدَر اللَّهِ سَابِقٌ فيمَنْ بَقِيَ من المشركين، فقدْ أَسْلَمَ منهم بشرٌ كثير، وفي مُقَدَّمِهِم أبو سفيانَ وعمرِو بن العاصِ رضي الله عنهم.

❖ شهداءُ الصَّحابة:

واسْتشهدَ أربعةَ عشرَ صحَابيّاً أصابُوا أعلى الجِنَان، جاءَتْ أمُّ حَارِثَةَ بن سُرَاقَة إلى النَّبيِّ ﷺ وقالت: «يَا نَبِيَّ اللَّهِ أَلَا تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ! قَالَ: يَا أُمَّ حَارِثَةَ! إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الْفِرْدَوْسَ الْأَعْلَى» رواه البخاري، قال ابن كثيرٍ رحمه الله: «وفي هذا تنبيهٌ عظيمٌ على فضل أهل بدر، فإنَّ حارثة لم يكن في بَحْبَحة القتال ولا في حومة الوَغَى، بل كان

من النَّظارة من بعيد، وإنما أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ وهو يَشْرَبُ من الحوض ومع هذا أصاب بهذا الموقف الفردَوس، فما ظنُّك بمن كان واقفاً في نحر العدو!».

❖ واجبُنا نحوَ الدِّين:

فدينُ اللَّهِ حقّ وهو ناصرُه، والباطلُ وإن تَزَخْرَفَ فالحقُّ يَدْمَغُه، والنَّصرُ من عندِ اللَّهِ وإن تخلَّفتْ أسبَابُه، فعلى العَبْدِ أن يَتَمَسَّكَ بهذا الدِّين، وأن يَنْصُرَ ربَّه ليَنْصُرَه ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

فالإسلامُ وَصَلَ إلينا بتضحيات، فَاضَتْ لأجلِه أَرْوَاح، وأصيبَتْ أجساد، وقَاتَل لإعلَائِه وبَقَائِه ووصُولِه إلينا رسلٌ وصدِّيقُون وشهداء وملائكة، وعلى مرِّ العصور بقيَ محفوظاً كاملاً في أحكامِه وتشريعاتِه، صالحاً لكلِّ زمانٍ ومكان، فواجبٌ على كلِّ عبدٍ أن يتبعَه، وأن يفرحَ به، وأن ينشرَه وينصرَه.

نسألُ اللَّهَ أن يثبِّتَنا على هذا الدِّين، وأن يهدِيَنا سواءَ السَّبيل.

وصلَّى اللَّه وسلَّم على نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلِه وصحبِه أجمعين.